

الترتيب الزمني في رواية (المرفوضون) لإبراهيم سعدي

The chronological order in the novel the Rejected by Ibrahim Saadi

د. عبد القادر رحيم*

جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

a.rahim@univ-biskra.dz

المعلومات المقال	الملخص:
<p>تاريخ الارسال: 2021/08/16</p> <p>تاريخ القبول: 2021/ 12/ 23</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ الزمن - الاسترجاع ✓ الاستباق ✓ جيرار جينيت ✓ إبراهيم سعدي 	<p>يستند هذا المقال في تحليله للترتيب الزمني في رواية (المرفوضون) للكاتب الجزائري إبراهيم سعدي إلى الآليات التي طرحها الناقد الفرنسي جيرار جينيت في كتابه (خطاب الحكاية)، حيث يرى جينيت أن أي نص سردي ينبغي أن يُدرس - في شقه الزمني - وفق واحدة من التقنيات الثلاث (أو بها مجتمعة): الترتيب أو المدة أو التواتر. ولأن حجم المقال لا يسمح بالبحث في التقنيات الثلاث، اخترنا الأولى (الترتيب الزمني) لحضورها اللافت والمتميز في الرواية موضوع الدراسة.</p>
Article info	Abstract :
<p>Received 16/08/2021</p> <p>Accepted 23/12/2021</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Time - retrieval ✓ Anticipation - Gérard Genette ✓ Ibrahim Saadi. 	<p><i>This article is based in its analysis of the chronological order in the novel Al-Marfodone written by the Algerian Ibrahim Saadi on the mechanisms put forward by the French critic Gérard Genette in his Discours du récit, where Genette believes that any narrative text should be studied (in its temporal part) according to one of the three techniques (or all of them): chronological order, duration, or frequency.</i></p> <p><i>As the size of the article does not allow for research on the three techniques, the first (chronological order) has been chosen for its remarkable and distinct presence in Al-Marfodone.</i></p>

. مقدمة:

تنبغي الإشارة أولاً إلى أن تحليل "زمن الخطاب" في أي عمل سردي يجب أن ينطلق أساساً من تقنيتين مهمتين، تشكّل كلُّ واحدة منهما "اختياراً يقوم به الكاتب لحل المشاكل التي يطرحها عليه الزمن السردي" (بحراوي، 2009، صفحة 119). وتعزى هاتان التقنيتان (إضافة إلى تقنية ثالثة هي التواتر (La fréquence) إلى الناقد الفرنسي جيرار جينيت، الذي ساهما على التوالي: الترتيب (L'ordre) والديمومة (La durée). أما الديمومة (وتسمى المدة أيضاً) فتعني: "مقارنة الفترة الزمنية التي تستغرقها الأحداث في الحكاية بالمدّة الزمنية التي تستغرقها في الخطاب"، ولها تقنيات محددة، هي: الخلاصة والاستراحة والحذف والمشهد. وأما الترتيب فيطرح قضية التوالي الزمني لوقوع الأحداث داخل النص السردي، فإذا كان زمن القصة (الزمن الطبيعي) يقتضي تسلسلها (الأحداث) ميقاتياً وفقاً لترتيبها الطبيعي، فإنّ الزمن السردي (زمن الخطاب) لا يخضع لهذا الشرط مطلقاً، بل قد يخالفه مخالفة صريحة، على النحو الذي سنراه في الخطاطة الآتية:

• زمن القصة: توالي الأحداث

1 ← 2 ← 3 ← 4 ← 5

• زمن الخطاب: ترتيب الأحداث

2 ← 5 ← 3 ← 1 ← 4

وعلى هذا الأساس فدراسة الترتيب الزمني تعني "مقارنة نظام الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة" (جينيت، 2003، صفحة 47)، وله في ذلك طريقتان: (الاسترجاع – الاستباق).

2.1 الاسترجاع (L'analepse)

الاسترجاع تقنية من تقنيات السرد الروائي، ويعني العودة بالسرد إلى الزمن الماضي عن طريق الاستذكار واستدعاء الأفل من الأحداث والوقائع، ولا تتحقق هذه التقنية في نظر كثير من النقاد إلا حينما "يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها" (قاسم، 1984، صفحة 40)، وقد قسّمه جيرار جينيت إلى أقسام ثلاثة هي: (جينيت، 2003، صفحة 60)

1.2 استرجاع خارجي (Analepse externe)

يتجاوز هذا النوع – في رأي جينيت – حدود النص المحكي، وتظل سعته كلّها خارج سعة الحكاية الأولى.

2.2 استرجاع داخلي (Analepse interne)

يخالف هذا النمط النوع الأول كونه لا يتجاوز حدود النص المحكي، بمعنى أنّه يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.

3.2 استرجاع مختلط (Analepse mixte)

ويسمى المزجي أيضاً، وهو كل استرجاع تكون نقطة مداه سابقة لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعته لاحقة لها (لم نعثر له على أمثلة في المدونة المدروسة).

3.1 الاستباق (La prolepse)

الاستباق نقيض الاسترجاع، ويعرف بأنه "عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آتٍ أو الإشارة إليه مسبقاً قبل حدوثه" (السد، 2010، صفحة 189)، ويرى جيرار جينيت أنّ هذه التقنية أقل تواتراً من الاسترجاع (جينيت، 2003، صفحة 76)، وقد يُعزى ذلك إلى طبيعة العمل السردية الذي يفترض أن الأحداث التي تُروى قد وقعت بالفعل في الزمن الماضي. وقد قسّمه صاحب كتاب (خطاب الحكاية) إلى أربعة أصناف هي: خارجي وداخلي وتكميلي وتكراري (جينيت، 2003، صفحة 77)، وتفصيل ذلك كالآتي:

1.3 الاستباق الخارجي (La prolepse externe)

وتقع سعته - أي المدة الزمنية التي يستغرقها من انفتاحه إلى انغلاقه - خارج مجال القصة الابتدائي الزمني (القاضي، 2010، صفحة 21)، وهو على الأرجح أقل تقنيات السرد حضوراً في الأعمال الروائية.

2.3 الاستباق الداخلي (La prolepse interne)

وهو نقيض الأول إذ تقع سعته داخل مجال القصة الابتدائية الزمني (القاضي، 2010، صفحة 21). وينقسم هذا الصنف بدوره إلى فرعين ثانويين هما: الاستباق التكميلي، والاستباق التكراري؛ فأما الأول: فتمتم يسد - مقدّمًا - ثغرة لاحقة، وأمّا الثاني فتلميح وجيز من قبل الروائي إلى حدث سيُروى لاحقاً بالتفصيل (جينيت، 2003، الصفحات 79 - 81). (لم نعثره على أمثلة في المدونة المدروسة). هذا، ويمكننا في الأخير أن نضع خطاطة (جيار، 2008، صفحة 59) (الشكل رقم 01))، تختصر مجمل الكلام السابق عن تقنية الترتيب.

وبالانتقال إلى الشق التطبيقي من الدراسة يمكننا تسجيل الآتي:

4. الاسترجاع في رواية المرفوضون

تتيح جملة الاسترجاعات الواردة في رواية (المرفوضون) للقارئ فرصة فهم واقع الشخصيات وحاضرها من خلال الاطلاع على ماضيها، إذ تحيا كل شخصية من شخصيات هذا العمل السردية على تبعات الماضي، بل إنّ هذا الزمن هو المؤسس الفعلي لمعظم أحداث الرواية، إذ لا يكاد يخلو فصل من فصولها الثمانية عشر من استرجاع أو اثنين على الأقل. ولا شك أنّ أول ملاحظة ترتسم في ذهن القارئ بعد اطلاعه على هذه الارتدادات هي الحضور المكثف للاسترجاع الخارجي على حساب الداخلي، حيث بلغت نسبة حضور الأول 80% في مقابل 20% للثاني. وعلى هذا الأساس، وانطلاقاً مما أثبتناه من نسب سوف نشرع في تحليل هذه التقنية مبتدئين بالاسترجاع الخارجي.

1.4 الاسترجاع الخارجي:

أول مثال تطرحه رواية (المرفوضون) عن الاسترجاع الخارجي هو تلك اللحظة الماضية، المليئة بالحزن، التي طرأت فجأة على ذهن أحمد (بطل الرواية)، حينما ذكّر صبية صغار يلعبون من حوله بوفاة ابنه الصغير قبل ثماني سنوات، فاستحال الهدوء الذي كان يعيشه في تلك اللحظة إلى كدر و يأس، يقول الراوي: "فجأة انتابه حزن عميق، أدرك سببه بعد برهة من الوقت، حينما تذكر الرسالة التي تضمنت خبر وفاة ابنه الوحيد البالغ من العمر عامين، تذكر تلك السعادة التي أحس بها أيام استعداده للعودة إلى قريته في أحد أشهر أوت القائضة، وكيف أنه ألغى مشروعه بعد تلقيه الرسالة" (سعدي، 1981، صفحة 6).

ولعلّ هذه الحادثة - إضافة إلى وفاة زوجته فيما بعد - هي التي سَتبني عليها أحداث الرواية، لأنّ أحمد سيحيا - عبر فصول هذا العمل السردية - حياة بؤس وشقاء في بلاد المهجر (فرنسا)، عقا با لنفسه التي أهملت أهله وذويه حتى غيهم الموت، يقول الراوي: "و حينما عاد إلى قريته بعد ثلاث سنوات من وفاة ابنه وجد زوجته قد توفيت بدورها، فرجع إلى

فرنسا يجر وراءه الخيبة والعار، منذ ذلك الوقت عرف العذاب الأليم الناجم عن عدم إحساس المرء بالإحترام لنفسه" (سعدي، 1981، الصفحات 6 - 7).

وفي استرجاع آخر مرتبط بالموضوع نفسه، نلني (أحمد) يعود بالذاكرة إلى مأساته السابقة (وفاة ابنه وإهمال زوجته)، بعدما استفزته بائعة فرنسية رفضت الحديث معه لأنه عامل عربي: "فكّر وهو يلف الملمع حول رقبتة بأنّ امتناعها عن مكالمته يعزى بلا ريب إلى كونه عاملا عربيا، وسخط في قرارته عليها وعلى نفسه ... وعاد إليه ذلك الإحساس الأليم بأنّه إنسان غير مرغوب فيه، وكعادته في مثل هذه الحالات، وجد نفسه يتحسر على تلك الفترة التي لن يقبل مع ذلك العودة إليها مهما كان الثمن، تلك الفترة التي نزل فيها بعد وفاة ابنه إلى الدرك الأسفل من السقوط، فنسي زوجته، وترك عمله في المصنع، وراح يعيش حياة متشرد، حتى الموت لم يكن عابثاً به آنذاك ..." (سعدي، 1981، صفحة 8).

ويبدو جليا من خلال هذه الاسترجاعات أن الراوي أراد أن يمكّن القارئ من أمرين:

- أولهما: تسليط الضوء على بعض المناطق المعتمّة في شخصية بطل الرواية (أحمد)، والتي جعلت منه شخصية غامضة يعترها الغضب واليأس والقنوط.

- ثانيهما: منّح القارئ تفسيرات مقنعة لبعض التصرفات التي تقوم بها هذه الشخصية.

لا يتوقف الراوي عند هذا الحد، بل يواصل رصد مجموعة من الاسترجاعات الخارجية التي يسعى من خلالها إلى رسم حدود أبعده وأدقّ لشخصية بطل الرواية، حيث يرجع بالذاكرة هذه المرة إلى زمن يسبق زمن التلفظ بسنوات طوال (قد تربو عن ثلاثين سنة)، وتحديدًا إلى أيام الطفولة، أيام كان أحمد طفلا صغيرا يعيش مع أبويه وأخته في إحدى القرى الجزائرية الفقيرة.

لم يكن أحمد في هذه الفترة - رغم صغرسنه - على وفاق دائم مع أبيه، إذ يذكر الراوي أنّ والده لعنه لمجرد أنه كان سببا في سقوط سنّ من أسنان أخته الصغيرة، يقول الراوي: "وكان لا يزال في فراشه حينما راح يستعيد ذكريات طفولته، تذكر بوضوح حادثة صغيرة تألم لها كثيرا رغم مضي مدة طويلة من الزمن عليها، كان يركض وراء أخته الصغيرة إلى أن تعثرت رجلاها فهوت على الأرض وارطم فمها بحجرة فانكسر أحد أسنانها، فقامت وقد انخرطت في بكاء مريع، والدم يطفر من فمها، وأسرعت إلى البيت حاملة معها السن المكسور، لم يضربه أبوه الغضوب، وصرخ فقط في وجهه، لتنزل لعنة الله عليك" (سعدي، 1981، الصفحات 174 - 175).

هذه اللعنة التي ظل أحمد - لزمن طويل - يعتقد اعتقادا جازما أنها سبب كلّ المصائب التي حلّت به "ولكن ها هو يتذكر ويتساءل في قراراته إن كان كل ما حاق به في حياته ليس في النهاية سوى نتيجة لتلك اللعنة الأبوية" (سعدي، 1981، صفحة 175).

هذا المقطع الارتدادي دفعه قسرا إلى الإبحار في الذاكرة، فاسترجع كل قصة لها صلة بوالده أو أمه أو أخته أو قريبته التي نشأ فيها ... فراح الراوي يسرد ماضي هذه الشخصيات جميعا، بطريقة استرجاعية تتسم ببُعْدِ المدى والسعة، حيث تجاوز مداه الزمني عتبة الثلاثين سنة، أمّا سعته فبلغت خمس صفحات ونصف (من ص: 175 إلى ص: 180).

ولتثبيت كل هذه الاسترجاعات سأحاول اختصارها في الومضات الآتية:

- قصة زواج والد (أحمد) من امرأة ثانية: "كان ذلك الأب قد تزوج بامرأة ثانية، حتى تقوم بتدبير شؤون المنزل، فقد كانت الأم مريضة منذ زمن طويل ..." (سعدي، 1981، صفحة 175)

- وصفة لزوج أبيه: "يتذكر بأنّ تلك المرأة كانت طيبة كالأخت مع أمه، رغم أنّ زواج أبيه منها ربما كان السبب في تدهور صحتها، كانت تعامل أبناءه برفق وحنان بالغين ... وقد رفضت بعد وفاته أن تأخذ أي شيء مما يعود إليها من

الميراث رغم فقرها المدقع ... تلك المرأة التي التحقت فيما بعد بالثورة، كانت صغيرة السن آنذاك" (سعدي، 1981، الصفحات 175 - 176).

● سفر (أحمد) إلى فرنسا ثم عودته إلى الجزائر: "حينما بلغ الخامسة عشر أرسله عمه إلى فرنسا، وبعد سبع سنوات عاد إلى قريته ليتزوج، وكانت الجزائر قد استقلت ..." (سعدي، 1981، صفحة 176).

● وصفه لقريته وللدغل المحيط بها: "إنه يتذكر تلك العودة بوضوح ... يعبر ساحة سوق الجمعة، ويمشي في طريق صاعد وعر، ويرى الملجأ العسكري السابق، وقد اصفرت جدرانها المعدنية وصدئت ... يواصل سيره في طريق ينحدر ... تحيط به من الجانبين غابة كثيفة واسعة الامتداد، يصادف مجموعة من القردة، تلوذ بالفرار حالما يقترب منها ..." (سعدي، 1981، الصفحات 176 - 177).

● قصة الشيخ الطاهر: "والآن يتذكر قصة الشيخ (الطاهر وعُلي) التي روتها له أخته ... لقد قرّر المستعمر تدمير القرية لأنها كانت تقوم بتموين المجاهدين، في الليلة السابقة على القصف عكف أهلها على تجميع الحاجيات الممكن حملها على الظهور أو بالأيدي ... في صباح تلك الليلة شاع خبر مفاده أنّ الشيخ (الطاهر وعلي) لا يريد الرحيل عن القرية ..." (سعدي، 1981، الصفحات 178 - 179)

● قصة مرض أمه ثم وفاتها: "أحمد يتذكر الآن بحزن شديد كيف أنّ أخته البالغة من العمر آنذاك خمس عشرة سنة قد قالت له بأنها كانت في ذلك الوقت تحمل أمها المريضة على ظهرها وفي إحدى المرات أقعدتها على صخرة واطئة قائمة عند حافة الطريق، فإذا بها تهوي على الأرض وتموت" (سعدي، 1981، الصفحات 179 - 180).

بعد القراءة المتمعّنة لكل هذه الاسترجاعات الخارجية يمكننا القول إن الداعي الرئيس لاستحضار هذه "المآسي" هو التنبيه إلى أنّ الألم الذي يحياه (أحمد) هو نتيجة حتمية للألام والمآسي التي كان قد عاشها سلفاً، فكل قصة من هذه القصص هي في الأصل نكتة سوداء في القلب، تذكّره - لحظة استرجاعها - بألم لا يقوى على تحمّله.

✓ فقصة زواج أبيه تذكّره بألام أمه.

✓ وقصة سفره إلى فرنسا ثم عودته إلى الجزائر تذكّره بزوجته التي أهملها حتى توفيت.

✓ وطيبة زوجة أبيه تذكّره بألم افتراقها عنهم و التحاقها بالمجاهدين في الجبال.

✓ وقصة الشيخ الطاهر تذكّره بحجم المعاناة التي عاشها أهل قريته جراء صمودهم في وجه المستعمر الفرنسي.

هذا إضافة إلى أنّ هذا الكم من الاسترجاعات قد يساعد - كما يقول جيرار جينيت - في ملء بعض الفجوات السردية (جينيت، 2003، صفحة 62)، التي تخللت هذا العمل الفني.

إنّ هذه الغاية (غاية سد الفجوات السردية)، دفعت الراوي في كثير من الأحيان إلى تسخير شخصيات أخرى للقيام بهذه المهمة، ولعلّ أهم شخصية - بعد بطل الرواية - تحملت عبء الاسترجاع، هي شخصية الرقيب الفرنسي (جان)، حيث تولى (جان) مهمة التعريف بماضي صديقه المقتول في حرب الجزائر (برنار).

ومما يلفت الانتباه في هذه الاسترجاعات التي سنذكرها فيما يلي أنّ الرقيب العجوز أحصى كل صغيرة وكبيرة في حياة صديقه (برنار)، بدءاً بأيام الطفولة، وانتهاء بموته في حرب الجزائر، وذلك على النحو الآتي:

"كان صديقا عزيزاً عليّ، لقد كنا نلعب الكرة معا في صباننا، و كنا نسرق علب الحلوى والكامبير في المخازن الكبرى، ولكن (برنار) لم يكن يأتي معي إلا خوفاً من أن أتهمه بالجبن ... كان يأتي إلى منزلنا وينام معي عندما يتغيب والداه، فهو لم يكن يستطيع البقاء وحيدا في المنزل أثناء الليل، و لم يكونا يأخذانه معهما أبداً" (سعدي، 1981، صفحة 61)، "لقد تذكر بوضوح تام كل ما حدث في ذلك اليوم من أيام الصيف القائضة في إحدى القرى الجبلية النائية والمعزولة، في ذلك اليوم كان يزرع النار

في مجموعة من النساء والعجائز والأطفال، انتقامًا لمقتل أحد الضباط ... فسمع (برنار) يتضرع إليه بقوله كفى أيها الرقيب ... وراح يهدده ببندقيته أن سيقتله إن لم يتوقف، و إذا به يسبقه في ذلك و يطلق عليه النار برشاشته و يريده قتيلا" (سعدي، 1981، الصفحات 66 - 67).

يشكل هذا المقطعان - رغم انفصالهما زمنيا - ارتدادا بعيد المدى، يصل إلى حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث يرتد المقطع الأول إلى مرحلة زمنية لا علاقة لها مطلقا بنص الحكاية الأولى، و هي مرحلة طفولة (جان) و(برنار)، فالراوي حاول من خلال هذا الاسترجاع الخارجي التأسيس لشخصية (جان) التي ستتسم فيما بعد (المقطع الثاني) بالعنف والسادية والتلذذ بقتل النساء والأطفال، ولهذا فإننا نعتقد أن (برنار) بطيبته وضعفه لم يكن إلا مطية لظهور (جان)، بدليل أنه لا وجود أصلا لهذه الشخصية (برنار) في المتن الحكائي، فهو لا يعدو أن يكون صورة في جدار، ذكّرت (جان) بكل هذه الاسترجاعات.

2.4 الاسترجاع الداخلي:

لم نعثر لهذا النمط من الاسترجاعات إلا على ثلاثة أمثلة تختصر جميعها مضمون الرواية، وهو معاناة العمال العرب في فرنسا، حيث يتضح جليا أن الراوي ساقها جميعا لغاية واحدة، هي التأكيد على حجم الظلم والاضطهاد اللذين يلقاهما العرب في هذا البلد الذي يدعي احترامه للعدالة وكرامة الإنسان. وللتأكيد على ذلك نسوق الأمثلة الآتية:

"كان لا يزال يسير وراءه حينما عادت إليه الفكرة التي أصبحت الآن راسخة في ذهنه؛ أن رئيسه يجعله يتخيل نفسه كآلة من الآلات لأنه هو نفسه تحوّل إلى آلة، ذات يوم التقى به في الطريق فلم يُخَيِّ الواحد منهما الآخر، حينما ابتعد عنه وتذكر كيف كان يوجه أوامره إليه بدون أن ينظر إليه، فكّر بأّ أنه قد يكون على غير معرفة بوجهه ..." (جينيت، 2003، الصفحات 21 - 22).

يرتبط هذا المقطع بنص الحكاية الأولى في كونه لا يخرج عن مضمونها العام، ولولا بعض الإشارات الدالة على الاسترجاع كنهو قوله: (حينما عادت إليه الفكرة)، (ذات يوم التقى به)، لاعتقدنا أنه استمرار للحظة الحاضر التي يعيشها (أحمد).

لقد صوّر هذا المقطع الاسترجاعي - بدقة - فظاعة الدّل والاحتقار اللذين يرزح تحت نيرهما كل عامل عربي اضطرتته الفاقة إلى الهجرة إلى فرنسا طلبا للرزق، ولا شك أن ورود بعض العبارات من مثل (يسير وراءه - رئيسه - يجعله يتخيل نفسه - كآلة - أوامره - دون أن ينظر إليه - على غير معرفة بوجهه ...) ليزيد من مرارة الشعور بالمهانة.

وفي نص ارتدادي آخر يروي (أحمد) لصديقه الوافد الجديد، قصة غريبة وقعت له بإحدى المقاهي الفرنسية، هذا نصها: "... اسمع أروي (كذا) لك حكاية ... لم تسمعها أذناي هاتان من أحد فقد حدثت لي ... دخلت يوما إلى مقهى (تات نوار)، وانتظرت أن يأتي النادل، فلم يأت، ثم ناديت السيد كلود، عندما جاء السيد كلود هذا، همس في أذني بأن (البترون) أمره بالألا يقدم أي شيء للعرب، وسألني إن كنتُ عربيا، ثم قال بأّ أنه متأسف ونظر إلى جهة الباب" (جينيت، 2003، الصفحات 31 - 33).

يجسد هذا النص مأساة العامل العربي بفرنسا، حيث يخضع قسرا لأحكام الميز العنصري، التي تفرض عليه عدم الدخول إلى الأماكن المخصصة للفرنسيين؛ كالمقاهي المحترمة والمحلات الفاخرة، ومطاعم الدرجات الأولى، والمسارح، ودور الأوبرا، والسينما.

وعليه نلاحظ أنّ الراوي لا يخرج - باستحضاره لهذا المقطع الاسترجاعي - عن المجال الزمني لنص الحكاية الأولى، كما لا يخرج أيضاً عن مضمونها العام الذي يروي معاناة العمال الجزائريين في المهجر، ولهذا يمكن تصنيفه ضمن الاسترجاع الداخلي. هذا، ويختتم الراوي توظيفه لهذا النوع من المفارقات الزمنية بمقطع قصير، ترويّه (ماري) زوجة (برنار) عن فتاة حسناء تدعى (جوزيان)، وقد كانت (جوزيان) هذه، مثلاً حياً عن العرق الأوروبي المتعالي، الذي يمقت كل ما له صلة بالجنس العربي، لذا كانت تكره العرب كرها شديداً، بل لا تكاد تطيق النظر في وجوههم، مما خلق في نفسها زُهَاباً حاداً يمكن تسميته بـ (فوبيا العرب)، وللتأكيد على ذلك نورد النص الآتي: "لقد التقيتُ بها (جوزيان) يوم الخميس الماضي، عندنا كانت عائدة من الكنيسة، قالت لي بأنّ قلبها يأخذ في الخفقان إذا كانت وحيدة وصادفت عربياً في الطريق، قالت لي بأنّه سيغى عليها لو تقابل أحدهم في الليل ... جوزيان الحسنة قالت لي هذا يا (لينا) ... لذا تصحّب معها دائماً كليها المخيف (بوب) ..." (جينيت، 2003، صفحة 94).

تشي بعض القرائن الزمنية الواردة في هذا النص بانتمائه إلى نمط الاسترجاعات الداخلية قصيرة المدى، حيث نلاحظ أنّ جملة (يوم الخميس) قد حدّدت مداه بأقل من أسبوع واحد، وعلى هذا الأساس جرى تصنيفه ضمن هذا النمط، مما يعني أنّه استمرار لنص الحكاية الأولى وليس خارجاً عنها.

بهذه العينة نختم حديثنا عن تقنية الاسترجاع في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي، ولكن قبل الانتقال إلى دراسة الاستباق يحسن بنا و وضع جدول توضيحي نشير فيه إلى كل المقاطع التي وردت فيها هذه التقنية الهامة وهذا ما سنوضحه في (الجدول رقم 01).

5. الاستباق في رواية المرفوضون:

ينطلق النقاد في تحليلهم لتقنية الاستباق من قاعدة مهمة مفادها أنّ "كل كسر لخطية الزمن صوب الماضي أو المستقبل هو مفارقة زمنية بالنسبة للحظة الحاضر في القصة" (لوكام، 2009، صفحة 109)، وعليه يمكن عدّ أي عملية قفز على حاضر النص من باب المفارقة في شقها الاستباقي.

وبالانتقال إلى مرحلة التمثيل من النص، فإنّ أول ملاحظة يمكن تسجيلها هي الغياب شبه الكلي لتقنية الاستباق بمعناه الحرفي في رواية (المرفوضون)، حيث لم نعثر في فصول الرواية كلّها إلا على أربعة أمثلة معظمها من باب التوقع أو الاستشراف أو ما يقترب منهما في المعنى كالتخمين أو التطلع ... وعليه يمكننا أن نفسر غياب هذه التقنية الزمنية برغبة الراوي في عدم قتل "عنصري التشويق والمفاجأة" (يوسف، 2005، صفحة 21)، اللذين يحيا بهما أيّ عمل فنيّ.

وللتدليل على ما أوردهنا سابقاً، نشرع في تحليل العينات الآتية:

يبدأ المثال الأول بقول الراوي: "وبعد أن انصرف الرئيس بنفس السرعة التي نطق بها كلامه ... فكّر (أحمد) بأنّه سيأمره هذه المرة بالتوقف عند ذلك الحد من العمل الذي بلغه..." (سعدي، 1981، صفحة 22).

يتضح من خلال هذا المقطع أنّ تقنية الاستباق هنا، جاءت في شكل تطلع أو توقع داخلي، صادر عن بطل الرواية (أحمد)، الذي دفعه الإحساس بالإرهاق الشديد إلى تمّي حدوث أمرٍ مستحيل، وهو أن يأمره رئيسه بالتوقف عن العمل.

ولكن توقّع (أحمد) سيخيب في نهاية المطاف، لأن رئيسه سيأمره - في مقطع ثانٍ - بالتوجه إلى مكان آخر يكمل فيه عمله، يقول الراوي: "وأخذ يسخط في قراراته حينما رآه يتجه إلى حيث يوجد البساط الحامل للأكياس، الذي لا شك أنه سيأمره بالعمل فيه حسبما خمن في استياء، ذلك ما طلبه منه فعلاً بإشارة من يده اليمنى قبل أن ينصرف بسرعه المعهودة" (سعدي، 1981، صفحة 23).

يتحقق توقع (أحمد) هذه المرة، ويرتقي تخمينه إلى مستوى الاستشراف، لأنّ رب العمل سيأمره - كما توقع - بالانتقال إلى مكان آخر، مما جعله يشعر بغضب عارم دفعه إلى التفكير جدياً في "أن يترك كل شيء ويطلب حسابه ويذهب إلى غرفته

مسرعاً" (سعدي، 1981، صفحة 23)، ولكنّه لم يفعل ذلك في نهاية الأمر، لأنه في حاجة مسيسة إلى مصدر رزق دائم، يؤمّن له الحد الأدنى من دواعي الكرامة التي افتقدها هو وغيره من العمال العرب في فرنسا، لذا نلفيه لا ينفك يسخط على كل شيء له صلة بعمله، ففقد الثقة في نفسه، وصار لا يتوقع إلاّ الأسوأ، على النحو الذي نراه في هذا المقطع: "وكالعادة خُيّل إليه بأنّ سيل الأكياس الساقطة والمتراكمة سيغرقه وأن العمل سيتعطل، وأنّ أعصابه ستنفجر..." (سعدي، 1981، صفحة 23). إنّ الذي يسترعي انتباه القارئ في هذه العينة الاستباقية هو أن مجمل الأمور التي توقع (أحمد) حدوثها (كغرقه في سيل الأكياس المتراكمة، وتعطل العمل وانفجار أعصابه)، لا ترتبط مطلقاً بمجرى الأحداث في الرواية، لذا يمكن عدّها أحداثاً ثانوية أو هامشية، أدرجها الراوي كي يثبت - من خلالها - حجم التضيق والقهر الذي يعاني منه (أحمد) وكل العمال العرب بفرنسا.

وعلى هذا يمكن أن ندرج هذه العينة في خانة التوقع الذي لا يستدعي انتظار النتيجة، بحكم أننا نعلم مسبقاً أن هذه الأمور ليست إلا تخمينات جادت بها مخيلة أحمد (... وكالعادة خيل إليه ...) (سعدي، 1981، صفحة 23). وختاماً ننقل إلى العينة الاستباقية الأخيرة، وهي قول الراوي على لسان الرقيب (جان): "اليوم تتغير الأغطية مرتين كل شهر، وغداً المطالبة بسيارات تأتي بهم إلى ذلك المكان الدنس، وتلفزيونات ملونة، ولماذا لا بأجمل نسائنا ..." (سعدي، 1981، صفحة 75).

تكشف لنا القراءة الأولى لهذا النص الاستباقي أن الراوي اتخذ من هذه التقنية الزمنية وسيلة لكشف خبايا نفس الرقيب (جان)، الذي بدا واضحاً - من خلال استهزائه بمطالب نزلاء المأوى الذي يشرف عليه - أنّه ساخط كل السخط على العرب وعلى ما يتصل بهم، إذ هم في رأيه سببٌ لكل المآسي التي حلّت به وبشعبه. وعليه، فإننا نستنتج أنّ ما قدّر الرقيب (جان) وقوعه من تخمينات في هذا المقطع (كالمطالبة بسيارات تأتي بهم إلى المأوى، وتلفزيونات ملونة، ونساء حسناوات)، لا يتعدى عتبة التوقع أو الافتراض الذي لا يرقى إلى مستوى الاستباق بمعناه الدقيق.

وفي الأخير سنوجز كل ما قلناه عن تقنية الاستباق في الجدول رقم (02).

الجدول 1: يوضح تقنية الاسترجاع بنوعيه في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي

رقم المقطع	حدود النص المسترجع	نوع	مداه	الصفحة
1	فجأة انتابه حزن عميق ... بعد تلقيه الرسالة	خارجي	بعيد المدى	6
2	وحيثما عاد إلى قريته ... الناجم عن عدم إحساس المرء بالاحترام لنفسه	خارجي	بعيد المدى	7 - 6
3	فكّر وهو يلف المقطع حول رقبتة ... لم يكن عابثاً به آنذاك	خارجي	بعيد المدى	8
4	وكان لا يزال في فراشه ... وصرخ فقط في وجهه: لتنزل لعنة الله عليك.	خارجي	بعيد المدى	175 - 174
5	ولكن ها هو يتذكر ويتساءل ... سوى نتيجة لتلك اللعنة الأبوية.	خارجي	بعيد المدى	175

175	بعيد المدى	خارجي	كان ذلك الأب قد تزوج ... منذ زمن طويل	6
176 – 175	بعيد المدى	خارجي	يتذكر بأن تلك المرأة كانت طيبة... وكانت صغيرة السن آنذاك.	7
176 – 175	بعيد المدى	خارجي	حينما بلغ الخامسة عشر ... وكانت الجزائر قد استقلت.	8
176	بعيد المدى	خارجي	إنّه يتذكر تلك العودة بوضوح ... حالما يقترّب منها.	9
177 – 176	بعيد المدى	خارجي	والآن يتذكر قصة الشيخ الطاهر ... لا يريد الرحيل عن القرية.	10
179 – 178	بعيد المدى	خارجي	. أحمد يتذكر الآن ... فإذا بها تهوي على الأرض وتموت.	11
180 – 179	بعيد المدى	خارجي	كان صديقا عزيزا علي ... ولم يكونا يأخذانه معهما أب دا	12
61	بعيد المدى	خارجي	لقد تذكر بوضوح تام ... ويرديه قتيلا.	13
22 – 21	قصير المدى	داخلي	كان لا يزال يسير وراءه ... على غير معرفة بوجهه.	14
32 – 31	قصير المدى	داخلي	اسمع أروي لك حكاية ... ونظر إلى جهة الباب	15
94	قصيرة المدى	داخلي	لقد التقيت بها ... لذا تصحب معها دائما ما كليها المخيف (بوب)	16

المصدر: من إعداد الباحث

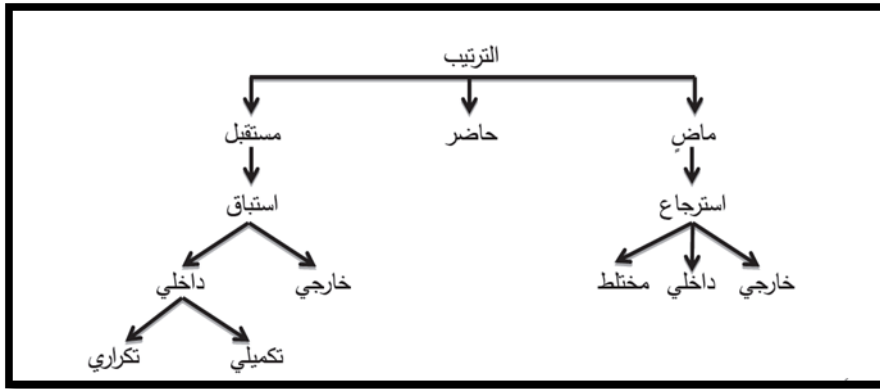
الجدول 2: يوضح تقنية الاستباق في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي

رقم المقطع	نص الاستباق	نوع	صفته	الصفحة
1	فكر أحمد بأنه سيأمره ... من العمل الذي بلغه.	توقع	داخلي	22
2	وأخذ يسخط في قرارته ... قبل أن ينصرف بسرعه المعهودة.	استشراف	داخلي	23
3	وكالعادة خل إليه ... وأن أعصابه ستنفجر.	توقع	داخلي	23

75	داخلي	توقع	اليوم تتغير الأغطية... وأن أعصابه ستنفجر.	4
----	-------	------	---	---

المصدر: من إعداد الباحث

الشكل 1: يوضح الترتيب الزمني



المصدر: من إعداد الباحث

4. خاتمة:

في ختام هذا المقال يمكننا القول إنّ رواية (المرفوضون) روايةً استرجاعية بامتياز، إذ وظف فيها الكاتب أكثر من ستة عشر نصًا مسترجعًا، أغلبها من النمط الخارجي (في مقابل ثلاثة استرجاعات داخلية فقط)، وهذا يؤكد - كما أسلفنا - على قصدية الكاتب في اتخاذه هذه التقنية الزمنية وسيلة ناجعة في سد ما يصادفه من فجوات سردية. وأمّا الاستباق فلم نعثر له على شواهد كثيرة، حيث لم يتعدّد عدد النماذج المستعملة الأربعة، كلّها من النمط الداخلي، أي إنّ سعته تقع داخل المجال الزمني للحكاية الأولى.

5. قائمة المراجع

- إبراهيم سعدي. (1981). المرفوضون، ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- آمنة يوسف. (2005). تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1. الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان: المركز الثقافي العربي.
- جيرار جينيت. (2003). خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، ط3. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- حسن بحراوي. (2009). بنية الشكل الروائي، ط2. الدار البيضاء - المغرب / بيروت - لبنان: المركز الثقافي العربي.
- سلمية لوكام. (2009). تلقى السرديات في النقد المغاربي، ط1. تونس: دار سحر للنشر.
- سيزا أحمد قاسم. (1984). بناء الرواية. القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد القاضي. (2010). معجم السرديات، ط1. تونس: دار محمد علي للنشر.

مدحت جيار. (2008). السرد الروائي العربي - قراءة في نصوص دالة، ط1. القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نور الدين السد. (2010). الأسلوبية وتحليل الخطاب، (د ط)، ج2. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.